



حوارٌ عن الإتحاد الأُقنومي

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٨

تم الحوار في شيكاغو في ٧ ديسمبر ٢٠١٧. الأخ نعيم مصري ترك الكنيسة تقابلت معه في جامعة شيكاغو أثناء وجودي وعملي بمكتبة الجامعة. تأخر النشر بسبب تأخر حصولي على إذن من الأخ نعيم.

نعيم: أنت لسه بتروح الكنيسة؟

جورج: نعم لسه بروح؛ لأن المسيح رب المجد وَعَدَ أن يكون وسط الجماعة.

نعيم: أنا لي ١٠ سنين ما دخلتش كنيسة.

جورج: أنت حر، ولكن ما حسنتش بخسارة؟

نعيم: خسارة أيه. أنا مرتاح ومبسوط.

جورج: ممكن تكون مرتاح ومبسوط، بس خسرت الشركة مع المسيح.

نعيم: يعني أيه الشركة مع المسيح؟

جورج: إحنا بنصلي وبنقول: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له".

نعيم: آه سمعت دي أكثر من مرة. أظن أنها من التسبحة السنوية، لكن موش فاهم أيه الذي لنا وأيّه الذي له.

جورج: أخذ طبعنا الإنساني، وأعطانا شركة في ألهيته.

نعيم: برضه سمعت الكلام ده، وسمعت إنه مرفوض عند بعض الإكليروس، وعلشان
الفوضى اللي في التعليم، أنا سبت الكنيسة.

جورج: هو فعلاً فيه فوضى وتشويش، لكن البحث عن الحق يُفرح قلب من يجده.

نعيم: يعني أنت فرحان بالكنيسة؟

جورج: فرحان بالمسيح، وهو سبب فرحي بالكنيسة؛ لأن فيه رهبان وراهبات وشهداء
ومكرسين وأخوة وأخوات بيدرسوا الآباء واجتماعات صلاة. يعني من ٤٠ سنة
كانت المكتبة القبطية الأرثوذكسية لا يوجد فيها إلا كتب ف ب ماير وكتب
الإنجليين والكاثوليك. دلوقت عندنا مكتبة أرثوذكسية كاملة، وهي دراسات الأب
متى المسكين، ومنتشورات مركز الآباء، وأخوك الغلبان نشر حوالي ٣٩ كتاب
ودراسة. يعني فيه تقدم في فهم سر المسيح، أي سر التدبير.

نعيم: فهمني أنت مسيحي ليه؟

جورج: لأن الله تجسد وصار إنساناً مثلنا، زي ما قلنا في الأول: "أخذ الذي لنا وأعطانا
الذي له".

نعيم: برضه يعني أيه؟

جورج: معاك حق. الله لم يعلن عن صفات، بل أعلن عن ذاته: هو نزل من السماء
وتجسد من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم.

نعيم: بس فيه قول منتشر: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح".

جورج: آه، ده نص قرآني لا اعتراض عليه؛ لأنه يكفر تحول الله إلى إنسان. على ما
أعرف، القرآن لم يهاجم تجسد الله، ولكنه هاجم تطرف الشيع التي عاشت في
الجزيرة العربية. عبارة "الله هو المسيح" لا تؤكد تجسد الله، ولا تنفي التجسد، بل

تؤكد تحول الله إلى إنسان.

نعيم: هذا جيد. لكن ما هو سبب أو أسباب التجسد؟

جورج: يا أخي أنا أرجوك دراسة كتاب "تجسد الكلمة" للقديس أثناسيوس الرسولي.

نعيم: سوف أحاول، لكن ماذا كتب أثناسيوس؟

جورج: تجسد الله الكلمة لكي يأخذ من مريم أمه البتول إنسانية يجعلها قادرة على الاتحاد بالآب من خلال اتحاداه هو بالآب، فصار ربنا يسوع المسيح وسيط عهد جديد، جاء لكي يوحدنا بالآب، وبهذه الوحدة سحق الموت والدينونة، وحررنا من سلطان الخطية.

بدون الاتحاد لا توجد لنا حياة حقيقية. إنه اتحاد بأقنوم الله الكلمة. استخدم القديس كيرلس الكبير هذا التعبير: "الاتحاد الأقنومي" لكي يؤكد أن المسيح ربنا واحد من طبيعتين وأن أقنومه الإلهي اتحد بالبشرية التي أخذها من والدة الإله. اتحاد بلا انفصال ولا تغيير ولا اختلاط. وهذه الكلمات رغم أنها تاريخياً خاصة بسر تجسد ابن الله، إلا أنها خاصة بنا نحن أيضاً؛ لأننا نحن نتحد بالرب دون انفصال وبدون اختلاط وبدون تغيير، إذ يبقى هو الرأس ونحن أعضاء الجسد. وبدون تغيير تعني أننا كما قال يوحنا الإنجيلي رسول يسوع: "نصير مثله"، أو كما قال رسول الرب بولس: "نتغير إلى تلك الصورة عينها"، أي صورة المسيح الممجّد، إلا أن الأصل يظل أصلاً، والصورة تبقى صورة.

نعيم: دخلنا في نفق مظلم؛ لأن الأصل والصورة كلمتان لا يوجد استخدام لهما في حياتنا وليس لهما معنى واضح.

جورج: كلامك صحيح إلى حد ما؛ لأننا عندما نقلنا الخطاب اللاهوتي من اليونانية والقبطية إلى العربية، تركنا الكثير من المفردات دون ترجمة، بل لم تكن كتابات

القديس كيرلس معروفة لنا حتى وصلتنا في طبعات حديثة صدرت من جامعات أوروبا (جامعات الكفار).

نعيم: والحياة اليومية يا أخ؟

جورج: طوّل بالك. الصلاة هي تغيير كياننا ليكون مثل كيان المسيح.

نعيم: هذا كثير وغير معروف.

جورج: مُش صحيح. لقد قال الرب يسوع بنفسه: "كونوا كاملين كما أن أباكم السماوي هو كامل". وهو يطلب منا أن نتغير مثل السامري الصالح والابن الضال الذي كان "ميتاً فعاش"، التغيير الكياني موضوع في أمثال وتعليم الرب، ويشرحه الرسول بولس بعد ذلك.

نعيم: طيب. ما هي العلاقة بين الأصل يسوع، والصورة نحن؟

جورج: العلاقة في سطر واحد، هو إن ما حدث لنا سوت الرب يسوع يحدث لنا، والكمال الإنساني الذي تم في ناسوت الرب يوهب لنا بالاتحاد وبالمسيح، لأن المسيحية ليست دعوة بالكلام فقط، بل هي دعوة شركة، دعوة اتحاد مستيكية لا دعوة عقلانية باللفظ وحده.

نعيم: جيد، بل ممتاز، ولكن ما هي هذه العلاقة؟

جورج: حاضر، نقل إلينا الرب يسوع من ميلاده البتولي الميلاد الجديد في سر المعمودية؛ لأننا أولاد الله، لا نولد من رجل ولا من مشيئة جسد، بل من الله كما كتب معلمنا يوحنا الإنجيلي في الإصحاح الأول من الإنجيل. ولذلك، من أروع كلمات الأب متى المسكين: "بيت لحم هي مسقط رأس البشرية المفتداة"، أي المكان الذي وُلِدَ فيه آدم الثاني ليكون لنا نحن ذات بداية يسوع نفسه، أي الولادة غير

البيولوجية، ونَقَلَ إلينا ربنا يسوع موته المحيي على الصليب، إذ أباد الموت من الإنسانية التي أخذها من والدة الإله، ونَقَلَ إلينا خلوده الإلهي، إذ أقام ناسوته، بل نقلنا إلى السماء بصعوده لكي نجلس عن يمينه.

وكما مُسِّح هو بالروح، مُسِّح نحن بالروح القدس؛ لأن هذه المسحة تجعلنا مسيحيين، أي ممسوحين بالروح القدس. هذا ما أقصده بالأصل، أي يسوع رب المجد الذي ينقل إلينا بالاتحاد به كل ما سبق.

نعيم: كويس. عليك أن تشرح لي كيف يتم هذا التحول أو الانتقال كما تسميه، أو الاتحاد.

جورج: الأمر بسيط لكل مَنْ أدرك أن هذا هو عمل محبة الله؛ لأن الله عندما تجسد، وَحَّد أُلوهيته بالناسوت، فنقل من أُلوهيته كل الحياة الجديدة التي كَوَّنَتْ عندما اتحد لاهوته بنا.

نعيم: رجعنا للغوامض، يعني أيه الكلام ده؟

جورج: يعني كما ينقل الجسد الإنساني إلى العقل الوعي بالضعف، دون أن يكون العقل ضعيفاً. والمحدودية دون أن يكون العقل محدوداً؛ لأنه في سرعة الضوء ينتقل الفكر من مصر إلى القطب الشمالي. ويبقى الجسد في مصر، والعقل في ألاسكا .. أليس هذا صحيح؟ وحدث في الرب نفس الشيء، نقل ناسوته إلى أُلوهيته كل ضعف الإنسان - ما خلا الخطية - لأن الرسول بولس كتب في العبرانيين: "الذي في أيام جسده إذ قدَّم طلبات بصراخ شديد ودموع"، وكتب الإنجيلي أن الرب قال في البستان: "نفسي حزينة حتى الموت"، بل دَكر معلمنا لوقا أن عَرَفَهُ كان ينزف مثل الدم في صراعه الروحي في البستان. ونَقَلَ اللاهوت إلى الناسوت عدم الفساد وغلبة الموت، ولذلك على جبل التجلي، سطع نور اللاهوت من الناسوت حتى أن ثياب الرب كانت أكثر لمعاناً من الشمس. هذه بعض ملامح الاتحاد

وليس كلها. وعلينا أن نتذكر أن هذه الملامح تُقال عن جسد ودم عمانوئيل إلهنا في القداست الأرتوذكسية.

نعيم: متشكّر. أنا لم أسمع هذا الشرح من قبل، وهو أمر معزّي جداً لِنفسي. اسمح لي أن أسأل: لقد شرحت كيف ينقل اللاهوت إلى الناسوت، وكيف ينقل الناسوت إلى اللاهوت ما هو مطلوب لأجل خلاص الإنسان، ولكن يظل نقل هذا إلينا نحن البشر غامضاً عليّ بعض الشيء. هل من مزيد؟

جورج: نعم. والمزيد هو الحياة الواحدة التي في الرأس وتنحدر من الرأس إلى أعضاء الجسد الواحد، أي نحن. إنها نفس الحياة الواحدة الإلهية المتجسدة.

نعيم: ولكن نحن خطاة، ونخطئ حتى بعد تناول جسد الرب ودمه، أليس كذلك؟

جورج: نعم، ولكن ما ذكرناه هو علاج وشفاء الخطية. المرض لا يقوى على الدواء، ونعمة الله تعطى من أجل الخطاة لأن الرب يسوع قال: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى"، وأنه جاء لكي يدعو الخطاة. الخطية يا أخ نعيم لا تشرح النعمة، ولكن العكس هو الحق. إن نعمة الله الوافرة أعطيت لنا لكي تبيد الموت والدينونة والخطية، وكل من يعترض بأن التعليم عن نعمة الله هو كثير، أو أن النعمة يمكن أن تعطلها خطايا الإنسان، بل وتمنعها، هو لم يؤمن بعد بالإنجيل.

نعيم: هذا حكم صعب.

جورج: لا. إن تسجيل مواقف تهدف إلى هدم الإيمان هو سلوك مرفوض تماماً.

نعيم: إذا عُدنا إلى الموضوع الأصلي، ماذا تستطيع أن تضيف؟

جورج: مجرد تأكيد بأن اللاهوت اتحد بالناسوت اتحاداً أبدأً. وترى أن يسوع كان مع الجموع وحاولوا أن يرموه في وادي، ولكنه اختفى، فقد اكتسب الناسوت صفة

غير المنظور حسب التدبير، ليس لأن الناسوت تحوّل، وإنما لأنه كما تجلّى ببهاء الألوهة دون أن يتحول، هكذا أيضاً في أثناء سيره مع تلميذي عمواس "أمسكت أعينهما عن معرفته"؛ لأن عدم رؤية الرب بالجسد، سببها الاتحاد الأقنومي، إذ هو يخفي نفسه، ولذلك قال رسول الرب بولس: "إن كنا قد عرفناه حسب الجسد ولكن الآن لا نعرفه"، أي حسب الجسد، بل "حسب الروح". لا تحاول أن تجادل بأن اللاهوت لم يعط شيئاً للناسوت؛ لأن بطرس رسول المسيح يقول في عظته يوم الخمسين مقتبساً نصاً من مزمو ١٦: "إن جسده لم يرَ فساداً"، وبذلك نحن في صلواتنا نقول: "الجسد المجيبي"، "الذبيحة الإلهية غير المائتة السماوية"، وهو ما أخذته الناسوت بسبب الاتحاد الأقنومي، وهو ما سوف يُعطى لنا لأننا سنقوم في عدم فساد كما قام الرب يسوع.

نعيم: ولكن أنت لم تذكر ماذا أخذ اللاهوت من الناسوت؟

جورج: أخذ الضعف؛ لأن الصلب كان مستحيلاً لو كان اللاهوت لم يأخذ الضعف. وأخذ ما أطلق عليه الرسول بولس: "أخلى ذاته"، و"صورة العبد" (فيلبي ٢ : ٦)، وكل أعمال الرب في الجسد مثل غسل الأرجل، ووضّح طين يوضع على عيني الأعمى، كلها أعمال اللاهوت التي تمت بالجسد؛ لأنه بلاهوته وببيديه الإنسانية غسل أرجل بطرس. ولاحظ أننا نقول في القداس إن الرب يسوع "أخذ خبزاً على يديه الطاهرتين اللتين بلا عيب وبلا دنس، وشكر". وهنا يتعدّر الفصل بين ما هو إلهي وما هو إنساني أولاً لأن المسيح واحد لا ينقسم، وثانياً لأن العطاء، أي هبة الجسد والدم هو عطاء إلهي رغم أنه تمّ إنسانياً.

ومن القديس أثناسيوس في "تجسد الكلمة" نجد أنه وصف الناسوت بأنه "أداة" أو "وسيلة" لكي يُظهر بها وفيها ذاته. هذه الأداة هي التي تحمل إلينا زخم وحياتة ابن الله؛ لأن للرب يسوع حياة واحدة إلهية / إنسانية، هي ما عبّر عنها القديس كيرلس الكبير بـ "الاتحاد الأقنومي".

نعيم: كيف يمكن للجسد أن يوجد على عدة مذابح في وقت واحد؟

جورج: لقد سمعت هذا السؤال عدة مرات، والسؤال يحمل رائحة وشكل الانفصال، أي انفصال اللاهوت عن الناسوت. لدينا مسيح واحد، ورب واحد متجسد لا يمكن فصل لاهوته عن ناسوته. هو في كنيسة مار مينا في شبرا، وفي دير مار مينا القريب من الإسكندرية، وفي كنيسة الملاك ميخائيل في أسوان. هو المسيح الواحد الذي يظهر لنا حياته الإلهية بواسطة الأداة، أي جسده.

والتفكير في الأداة وحدها هو مثل من يسأل عن علاقة اليد أو القدم بباقي أعضاء الجسد الواحد. طبعاً هذا السؤال مع أسئلة أخرى مشابهة جاءت مع حركة الإصلاح، كان رد مارتن لوثر بأن الناسوت أصبح غير محدود، ولكن الواقع هو عكس ذلك. نحن المتفرقين في أرجاء المسكونة الأربع يجمعنا الرب يسوع إليه ولسنا نحن المتفرقين نوزع حضور الرب بيننا، يعني كما قال الإنجيل: "ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد"، ولذلك عند تقديم الحمل نقول: "سلاماً وبنيناً لكنيسة الله الواحدة..". لأننا جئنا إلى القديس لكي نصير واحداً مع الرب ومع القديسين الذين سبقونا، مع الكل وليس الذين نذكرهم في المجمع فقط.

نعيم: يا أخ جورج لماذا أنت متمسك بالاتحاد وبالذات تعبير "الاتحاد الأثنومي"؟ أنت تلف وتدور حوله، إديني أهم أسبابك؟

جورج: متمسك لأن هذا هو الإيمان الصحيح، وأنا لست متمسك بمفردات، بل بالاستعلان الذي تم في التجسد. يبدو لي أن الذين ينكرون اتحادنا بالرب يسوع لا يؤمنون بالتجسد، وهم الذين يدورون ويقولون لنا إن هذا الاتحاد خاص بالمسيح فقط. هو فعلاً خاص بالمسيح، ولكنه وهب لنا أيضاً فيه. ما هو خاص بالمسيح لم يكن من أجل المسيح، رغم أنه خاص بالمسيح. الإنسان بدون المسيح عريان تماماً. خليني أعد لك بالأرقام:

١- بلا خلود وفي قبضة الموت.

٢- مستعبد للطبيعة المخلوقة من العدم.

٣- يجهل الله وقد اختلطت معرفته بالخالق بالوثنية.

٤- لا يعرف المحبة ولم يرَ إلا قبساً منها في الحياة الأخلاقية التي لا تعرف الثبات.

٥- عبدٌ للخطية.

ألا يكفي هذا؟

لقد جاء الابن وتجسد "لأجلنا نحن البشر" كما نقول في قانون الايمان وهو المانح:

١- الحياة الأبدية.

٢- الولادة الجديدة من الله، أي التبني.

٣- التحرر من الوجود البيولوجي إلى وجود الشركة في الله.

٤- القيامة من موت الجسد ونوال المجد الإلهي.

٥- ميراث الملكوت.

٦- الشركة في حياة الثالوث بواسطة وبواسطة الروح القدس.

ونحن لم نسأل أنفسنا طوال ٤٠ سنة لماذا لم نسمع أن مصدر وينبوع كل ما سبق

هو الابن المتجسد؟

نعيم: أنت تقصد أن المسيح هو نبع ومصدر كل ما سبق؟

جورج: نعم. هل يمكن للإنسان بقدراته الطبيعية أن يصبح ابناً لله؟ المولود الأزلي من الأب هو الذي أعطانا أن نكون أبناء الله بالنعمة.

نعيم: يعني حنبقى أزيلين زئيه؟

جورج: لاحظ يا أخ نعيم خداع اللغة لأن كلمة "حنبقى" تعني التحول، وعندما قال واحد من الإكليروس إن الشركة في الله "تجعلنا مساويين لله"، فقد خدع نفسه باللفظ؛ لأن كلمة "جعل" يعني "تحول وتغيير"، وما هو مخلوق لا يمكن أن يتحول إلى ما هو غير مخلوق، هل تعرف السبب؟

نعيم: لا أعرف.

جورج: المخلوق جاء أو حُلق من العدم، أي نال الوجود من الله خالقه، وما حُلق لا يمكن أن يكون أزلياً ولا حتى أبدياً؛ لأن الأزل سريانية والأبد عربية، والمعنى واحد. لقد تم التدليس بالكلمات وخداع التركيب اللفظي. كيف يمكن لمن يشترك في طبيعة الله أن يكون "موجوداً في كل مكان وقادراً على كل شيء"، كما قال نيافته؟ ما حُلق من العدم نال الوجود "نعمةً من الله"، ونال الوجود حسب هذه النعمة كما ذكر معلمنا أثناسيوس في تجسد الكلمة، وهو يحيا في دائرة الخلق من العدم، ولذلك عندما قال أثناسيوس العظيم: "الإنسان مخلوق من العدم، ولذلك هو *mortal*" (فصل ٤)، فكيف وبأي قدرة يمكنه أن يصبح موجوداً في كل مكان، وهو آتٍ من اللاوجود؟ بل لقد تعدى نيافته كل ما هو لائق، إذ ذكر في كتابه "بدع حديثة" بأن الشركة في طبيعة الله هي جريمة الشرك التي يجارها الإسلام، فأدخل الفقه الإسلامي في اللاهوت المسيحي عن جهلٍ يُعقر له؛ لأنه لم يفهم: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"، ولم يدرك أيضاً أن ناسوت الابن ظلَّ ناسوتاً، وأن حركة الناسوت هي الولادة - المعمودية - الصليب - الدفن - القيامة - الصعود - الجلوس عن يمين الأب، هذه كلها هي حركة الجسد، أو الناسوت رغم اتحاده باللاهوت اتحاداً بلا انفصال ولا تغيير.

ألا ترى كيف تركنا أساسات الإيمان؟

نعيم: ماذا تقصد بالضبط بأن الابن هو ينبوع كل ما أخذناه؟

جورج: حسناً، الابن هو ابن الله بالطبيعة، مولودٌ من ذات جوهر الآب، وهو واحد مع الآب حسب الجوهر. البنوة نعمة أُعطيت لنا من بنوة الابن؛ لأن الابن تجسد، فصار الناسوت واحداً مع اللاهوت، وصارت بنوة الابن كما ذكر الرب يسوع نفسه وهو في الجسد مؤكداً "أنا في الآب"، و"أنا وأبي نأتي إليه". فالبنوة لم تعد خاصة باللاهوت وحده، بل صارت خاصةً بالناسوت على نحوٍ لا نعرفه. وعندما أعلن الآب: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت"، كان يقصد المسيح الواحد ولم يكن يعني اللاهوت دون الناسوت، ولذلك من ألوهية الرب أخذنا التبني فيه باتحادنا. لاحظ أنه لا يوجد "دكان" يوزع منه الله العطايا الإلهية، بل من ذاته يعطي من اللاهوت بواسطة الناسوت وباستعلان الروح القدس.

لا يمكن تحليل تجسد الابن الوحيد حسب ما نعرف؛ لأنه لا يوجد عندنا نحن البشر إلا إله واحد متجسد، وهو ربنا يسوع المسيح.

اتحادنا حسب نعمة المسيح لا يعطي لنا أن نعرف سر الاتحاد بالوسائل والمصطلحات الفلسفية ولكن بتذوق هذا الاتحاد.

نعيم: وماذا عن الصلب، هل صُلب اللاهوت؟

جورج: لا يمكن لأي وسيلة مادية مهما كانت أن تلمس اللاهوت. كان أستاذنا د. وهيب عطا الله يقول إن آلام اللاهوت هي آلام أديبة، هي الشعور بالألم والخزي والعار، وهذا أفضل ما يمكن أن يُقال. على الصليب، الذي صُلب هو يسوع الابن الوحيد الإله المتجسد، وعلى الصليب قَبِلَ الرب الموت الجسداني وسحقه لأنه أقام جسده في اليوم الثالث بلا فساد، وأظهر مجده الإلهي عندما قام بلا

فساد.

اللاهوت هو ينبوع الحياة الأبدية، ولذلك يعطي لنا من ألوهيته الخلود وعدم الموت، وبالالتحاد به نعرف الآب.

نعيم: هل يمكن أن تلخص لي الاتحاد الأقنومي في عبارة واحدة؟

جورج: ليس لدي عبارة أفضل من "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له". أخذ صورة العبد وأعطانا صورة الابن، أخذ الناسوت القابل للموت كما ذكر أثناسيوس، وأعطانا القيامة – أخذ الجسد والنفس وأعطانا شركة في ألوهيته.

انتهى اللقاء بمحبة ومصافحة.

كل عام وأنتم بخير ... آخر ليلة في عام ٢٠١٧.

د. جورج حبيب بياوي